الاندماج الاجتماعي و تأسيس الهوية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

The social integration and establishing of identity in central maghreb During the first three centuries of migration

1- أسماء حاج محمد، علي لونيسي -البليدة2- الجزائر

ea.haddj-mohammed@univ-blida2.dz

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر)

2- عبد القادر بوعقادة، علي لونيسي -البليدة2- الجزائر

bouagada-aek@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/09/03 تاريخ القبول: 2022/10/01 تاريخ النشر:2022/12/31

ملخص:

موضوع هذا البحث هو دراسة قابلية الاندماج الاجتماعي، كما تبدى في المغرب الأوسط، الذي استوطنته إثنيات مختلفة ذات أديان ومذهبيات متنوعة، تمتد الدراسة من القرن 1إلى3هـ/7إلى9م، فخلال هذه المدة الزمنية، حدثت تحولات دينية و ديمغرافية عميقة ساهمت في انتاج علاقات بين العنصر المحلي البربري، والعنصر الوافد العربي والفارسي والأندلسي وغيرهم، فظهر جيل جديد استوعب معنى التعدد الإثني، جمعت أفراده مصالح مشتركة في إطار مركب اجتماعي واحد، فكان الاختلاط بالجوار والمصاهرة والتعامل الاقتصادي والسياسي والثقافي والتفاعل الفكري، حصيلة لخطابات التآلف والتعايش التي أقرها قادة الفتح، وأطرتها الدويلات القائمة في مجاله في القرون التالية،

*- المؤلف المرسل

الرستمية والإمارات العلوية السليمانية، بمعنى دمج الإثنيات المختلفة وبشكل طوعي وعفوي في بوتقة العروبة والإسلام، وبذلك تولد الشعور بالانتماء والولاء إلى المكان والدين واللغة والثقافة، وهي بطبيعة الحال محددات سمحت بحفظ الموروث القديم، وأسست في ذات الوقت لهوية مجتمعية بمقومات جديدة بقيت محافظة على خصوصيتها منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا.

كلمات مفتاحية: المغرب الأوسط- الاندماج الاجتماعي - الاستيعاب الإثني- البربر- الهوية.

Abstract:

This research studies the possibility of social integration between the ethnic components that inhabited the Central Maghreb - Arabs, Persians, Berbers and others from 1-3 AH / 6-9 AD. So Mixing with the neighborhood, intermarriage and dealing with the others were the most important indicators of integration since the conquest until the Sulaymaniyah emirates and the Rustumiyan state, who supported social coexistence and the integration of ethnicities in the crucible of Arabism and Islam. Thus, the feeling of belonging to religion, place, culture and language was established, which are of course determinants of the stabilization of social identity from then until today.

Keywords: central maghreb. The social integration. Ethnic assimilation. Berbers. Identity.

- **مقدمة**

ضم المغرب الأوسط[1] بعد الفتح الإسلامي عناصر سكانية ذات إنتسابات قبلية متعددة، متباينة الجنس واللغة والثقافة والعادات والدين، غير أنها لم تكد تدخل في نطاق الأمة الواحدة حتى أخذت هذه العناصر تندمج تدريجيا في وعاء الحضارة العربية الإسلامية اندماجا قويا، من هنا كان التعدد الإثني سِمة بارزة من سمات مجتمع المغرب الأوسط، هذا الفضاء الذي استوعب عصبيات مختلفة، بنت تحالفات وخاضت صراعات، لكنها ترابطت تحت لواء النظام السياسي الحاكم، المسؤول الأول على دمجها في مركبٍ اجتماعي واحد.

تأسيسا لما سبق لن نذهب بعيدا في تأكيد الارتباط بين موضوع اندماج[2] الجماعات التي اختارت المغرب الأوسط موطنا لها، ومسألة تأسيس الهوية[1]، في وقتٍ اعتقد فيه بعض الباحثين أن الهوية

---

[1]- مدلول لفظ المغرب الأوسط: كان أخذ مصطلح المغرب الأوسط في البحث أخذا جغرافيا مجاليا الغرض منه الإشارة إلى الأحداث التي وقعت في هذه الرقعة كعينة، وليس كمصطلح تاريخي أو سياسي متداول، لأن الثابت ظهوره بعد القرن ق5ه/11م.

[2]- **لغة:** دمج، أدمج الشيء دموجا أي أجاد إحكامه، وتدامجوا أي اجتمعوا وتضافرت جهودهم وتعاونوا والدامج هو المجتمع، ويعكس في معناه الانفراد، وجاء في لسان العرب أن اللفظة فيها دعوة إلى مخالطة الناس وعدم العزلة. ابن منظور محمد بن مكرم أبو الفضل الإفريقى (ت 711ه/ 1312م)، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994، ج2، ص275. الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة مؤلفين، دار الهداية، الكويت، 1965، ج5، ص 576.

اصطلاحا: يعبر الاندماج الاجتماعي على العملية الاجتماعية التي تمكن الأفراد من الانصهار في مجتمعاتهم، أفقيا بتمثل في قيمها عاداتها وأنماط معيشتها، وعموديا باكتساب هوية سياسية تعزز انتسابهم للدولة القائمة وتعزز انتماءهم لها، ويرتبط بالجانب الإنساني وبالإدراكات النفسية والاجتماعية من خلال الانخراط الفعلي للأفراد في قضايا المجتمع الكلي وإدراكهم للشأن العام الجامع والمشترك، ويبدأ عموما من تكريس الفرد لمفهوم العلاقات والروابط الاجتماعية. امحمد المالكي، الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب العربي، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة والوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014، ص667.

الجماعية المحلية في هذه المرحلة التاريخية، كانت مخيرة بين أمرين: إما التكيف مع الجماعات الوافدة العربية والفارسية والأندلسية وغيرها، وهو ما كان مؤاتيا لإعادة انتاج هوية جديدة متمايزة، أو البحث عن مخرج لهذا الواقع الإثني المتعدد، وذلك بالاجتهاد في حفظ أفرادها من التآلف والانصهار في غيرهم وعليه تروم هذه الورقة البحثية، الغوص في إيقاع للنقاشات الفكرية المرتبطة بتساؤلات الانتماء والهوية وهو نقاش تناولته المصادر التاريخية دون أن تفرد له صفحات تكون جداراً مانعا لأقلامٍ استغلت بعض الأحداث لصالح الحركة الاستعمارية الهادفة للتفرقة، استناداً إلى دراسة الفوارق الحضارية وخصوصية كل عنصر، ثم فرز المكون البربري لوحده، واعتباره محدد هوياتي دون إشراك المكونات البشرية الأخرى وهو توجه استعماري لا يمكن حجبه، بل وجب التدقيق فيه ومراجعته بحسب السياقات التاريخية التي قادتنا إلى طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى حسمت للنصوص المصدرية مسألة الاستيعاب الإثني بين المكونات البشرية التي اختارت المغرب الأوسط موطنا لها خلال القرون الثلاث الأولى للهجرة، وهل كان لذلك تأثير في ضبط جدلية العلاقة بين موضوع الاندماج الاجتماعي وبين مسألة تأسيس الهوية الجماعية وحفظ خصوصيتها عبر العصور ؟ وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا مجموعة من التساؤلات:

- ماهي أبرز المواقف التي دعمت اتصال البربر مع غيرهم من العناصر الوافدة إلى المغرب الأوسط خلال القرون الثلاث الأولى للهجرة/ 7-9م؟

-أما فيما يتصل بهوية الجماعات العربية والبربرية، هناك مرتكزات أسست للتقارب العربي البربري أثناء الفتح الإسلامي، فيما تجلت؟

- في الفترة الزمنية محل الدراسة تبرز أمامنا ظاهرة هجرة الأشراف العرب إلى المغرب الأوسط، وبشكل تلقائي يرتبطون بالمكان، فهل ينتهي بهم الأمر إلى سلوك اجتماعي يوسع امتزاجهم بالعنصر المحلي، ويؤكد في نفس الوقت انتماءهم الفعلي إلى الأرض والثقافة؟

Dominique Schnapper, Qu'est-ce que l'intégration ? Paris ,Éditions Gallimard, 2007, p 788.

[1]- يستمر نقاشنا حول مصطلح تأسيس الهوية كرؤية، الهدف منها التركيز على أثر التحولات التي أحدثها الإسلام في المغرب الأوسط، الذي كان كفيلا لتجديد تعبيرات مجتمعه العرقية واللغوية والفكرية، هذه التعبيرات التي رسمت محددات هوية مختلفة عما كانت عليه من خصوصية في العصر القديم.

-يرى البعض أن الهوية الجماعية في المغرب الأوسط تعني تأكيد ارتباط العناصر البربرية بالعناصر العربية من جهة، ومن جهة ثانية الارتباط بثقافتهم، ونحن نعلم بالتواجد الواسع للعنصر الفارسي الذي كان له دور فعال في تشكل التاريخ السياسي لهذه المنطقة، فهل نتنقد طرح عدم انتمائه، وإلى أي مدى تشرب هو الآخر وانصهر في الجماعات المحلية؟

1- مرحلة الفتح الإسلامي وبواعث الاستيعاب الإثني في بلاد المغرب الأوسط:

لم يكن المغرب الأوسط بمعزل عن موجة التغيرات التي أحدثتها حركة الفتوح في بلاد المغرب عموما خلال القرن 1هـ/7م، فبمجرد إحراز الدعوة الإسلامية نجاحها، سعت الأنظمة السياسية القائمة في مجاله إلى الاستفادة من تجارب قادة الفتح، لجعل فكرة الاندماج الاجتماعي محببة ومرغوبا فيها فليس ممكنا لقوة سياسية -العرب- أن تجمع الناس على هدف التوحد، وشعار الأمة الواحدة، دون أن تتحرز من وصف مجتمع المناطق المفتوحة بأي وصفٍ إثني أو قبلي، بل نفترض حقيقة أن قادة الفتح دعموا فكرة المعايشة الاجتماعية بين العرب والبربر، واتجهوا نحو إنهاء الفوارق العرقية، بما يتفق وتعاليم الدين الإسلامي، وربما هذا ما أثار تساؤل المؤرخين الغربيين أمثال الفرنسي **غابريال كامبس**

Gabriel CAMPS [1] حول بواعث ادعاء دول شمال إفريقيا انتماءها المزدوج إلى المجتمع المسلم وإلى العالم العربي؟ وللإجابة على هذا التساؤل، توجب علينا العودة إلى مرحلة الفتح الإسلامي، كونها المرحلة التي طرحت فكرةالا ستيعاب الإثني على أرض الواقع، وعملت بفضل قادة الفتح على تأطيرها، بما ينفي التصور المستنسخ حول حركية تاريخ مجتمع بلاد المغرب عموما، بسبب نتائج ما اصطلح تداوله في كتابات المدرسة الكولونيالية بالغزو العربي، والذي لخصت نتائجه من وجهة نظرهم في الصراع الفكري والتعارض العرقي بين العرب والبربر وباقي المكونات الإثنية.

.11القائد عقبة بن نافع الفهري 50-55هـ /669م-674م.... استفادة التعمير والتمصير:

[1] -Camps Gabriel. Comment la Berbérie est devenue le Maghreb arabe. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, 1983. P8

تعتبر التجربة التاريخية للقائد عقبة بن نافع الفهري، في اختطاط ثم تعمير مدينة القيروان سنة 50-55هـ /669م-674[1]؛ أنموذجا رائعا يعكس نبوغ العقلية الإسلامية على صعيد انتاج معاني الاندماج انطلاقا من تبنيه لسياسة عامة، تشجع على انخراط البربر المسلمين في محضن الجماعة الوافدة[2] وفي هذا إقرار لإستراتيجية الاستقرار العربي بأرض المغرب عموما، ودعوة هادفة لجذب البربر كأنصار للإسلام ولثقافته وحضارته، ولعلنا ننطلق في هذا المضمار من رصد عدد الصحابة الذين كانوا في صحبة عقبة بن نافع في جهاده بأرض المغرب، يحصيهم المالكي صاحب رياض النفوس في خمسة وعشرون صحابي[3]، اضطلعوا جميعهم بدور رئيسي في نشر الإسلام والثقافة العربية بين سكان المنطقة.

لا نبالغ أيضا، إذا قلنا أن سياسة عقبة في تعمير القيروان ساهمت في تسهيل الحراك الاجتماعي بين الجماعات المستقرة بها، كالتعليم والسكن والعمل يقول أبو العرب:" وقطعها للناس مساكنا"[4]، دون فرز للعنصر العربي المهاجر إليها من قبائل قحطان ومضر، ولا بأس في استحضار من دخلها مع عقبة عشرة آلاف رجل من عرب وبربر[5]، ومع زهير بن قيس البلوي ستة آلاف جندي، منهم أربعة آلاف عربي

[1]-ابن عبد الحكم أبو القاسم القرشي (ت 258هـ/ 871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: شارلز توري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت، ج2، ص 195.

[2]- المعلوم أن عقبة استفاد من رباطه الطويل في مدينة برقة أول قاعدة للمسلمين في بلاد المغرب، عمد خلاله إلى إستكشاف المنطقة والتعرف على جموع قبائلها، وطباعهم وطريقة تفكيرهم، وتقوية الصلات معهم، فكان احتكاكه مع القبيلة لواتة بالمصاهرة إذ أنه له زوجة لواتية، تعرف بأم عياض، وقد أنجبت له ولدان أبو عبيدة وموسى. موسى لقبال: عقبة ابن نافع، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، د ت، ص 38.

[3]- المالكي أبو عبد الله أبي بكر ابن محمد (ت453هـ/ 1061م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم ومسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير بكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ج1، ص 10.

[4]-أبو العرب محم بن تميم التميمي(ت333هـ/945م، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص 8.

[5]- مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2005م، ص 74.

وألفي بربري سنة 64هـ/684م [1]، أضف إلى هؤلاء أربعون ألفا في ولاية حسان بن النعمان سنة 78هـ /697م[2]، في حين اجتمع فيها لكلثوم بن عياض إثني عشرة ألف من جند الشام سنة 123هـ/ 740م[3] وعشرة آلاف آخرون من صلب بني أمية وعشرون ألفا من سائر العرب[4]، وهي أعداد ظلت تتضاعف في كل مرة يتجدد فيها تعيين والي إفريقية، أو يتم فيها إرسال البعثات العلمية، وفيهم من استشهد واستقر، واتخذ الزوجات والسراري ورزق بالأولاد[5]، ولابد أنهم أثروا بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم العربية في باقي العناصر التي استوطنت القيروان إلى جانبهم، في مقدمتهم البربر السكان الأصليين للمنطقة الذين قصدوها أثناء الحركة الفتوح، بعدما انخرطوا في جيش إفريقية، منهم الألفي وبري بقيادة زهير[6] وإثني عشرة ألفا بقيادة حسان[7]، التحقوا إما شرط لأمانهم، أو خدمة لدينهم، وكذلك أصناف الفرس من أهل خراسان الذين وفدوا عليها بمجيئ العباسيين، حيث رافق ابن الأشعث سنة 146هـ/763م أربعون ألفا، ثم انضاف إليهم سنة 155هـ/771م ستون ألفا فيهم العرب والفرس والبربر، ما يؤكد حقيقة ما ذهب إليه اليعقوبي في توصيف الحقل الإثني لمدينة القيروان: "وفي مدينة القيروان أخلاط من قريش وسائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان، وبها أصناف من عجم خراسان ...والبربر"[8] لكننا لن نستبق الأحداث، ونطلق حكما تاريخيا نهائيا بحدوث الانصهار الكلي في هذه المرحلة المبكرة، ونتجاوز مراحل التصادم والتعايش[9]، بل سنكتفي باعتبار مدينة القيروان

---

[1]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ص 56.

[2]- ابن عذاري أحمد أبو العباس المراكشي (ت712هـ/1312م)، البيان المعرب في أخبارالأندلس والمغرب، تحقيق: كولان ج، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص 34.

[3]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 65.

[4]- نفس المصدر، ج1، ص 54.

[5]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص99.

[6]- الدباغ، المصدر السابق، ص56.

[7]- المالكي، المصدر السابق، ج1، 56.

[8]- اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح (ت284هـ/867م)، البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2002م، ص 188.

[9]- حليم بركات، مستقبل الاندماج الاجتماعي والسياسي في المجتمع العربي، منشورات الطليعة، ط1، تونس، 1988، ص25.

القيروان أول قاعدة إسلامية في بلاد المغرب بعد برقة استوعبت حالة التعدد الإثني[1]، ومهدت لشعور الانتماء إلى المكان لدى الجماعات التي استوطنتها، بما يخدم خطى تحقيق الاندماج الاجتماعي، و بتعبير آخر لا يمكننا المبالغة في ظل هذا التحول الاجتماعي بثبات الأصل العرقي القديم، كون أن طول التجاور والتعايش سيؤدي بالضرورة إلى عملية مثاقفة مستمرة، هذه الأخيرة ستعمل بهدوء على نحت مقومات هوية جديدة لهذه الجماعات[2].

2.1القائد أبو المهاجر دينار55 - 62هـ /674- 681م ... سياسة المصالحة واللين:

انتهج أبو المهاجر سياسة المصالحة مع عجم إفريقية لضمان بقاءهم على الحياد، واللين لكي يربط أواصر الصداقة، ويستميل زعماء القبائل البربرية-قبيلة أوربة وزعيمها كسيلة ابن لمزم-[3] وفعلا أدت هذه السياسة إلى ميلاد الأخوة بين رواد الفتح الأوائل و البربر[4] علما أنه قضى أربع سنوات دون أن يقوم يقوم بأي عمل عسكري، ما من شأنه زعزعة حالة الا طمئنان والتآلف[5]، مستثمرا المد في الاتصال

[1]-ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج2، ص 195.

[2]- حسين بوبيدي، "منطلقات التشكل وتفاعلات التحول دراسة فلسفية تاريخية"، ضمن كتاب إشكالية الهوية دراسة في التشكل والتمثل والتفاعل، المركز الجزائري للدراسات ودار الإحسان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020م، ص 64.

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 46.

[4]- موسى لقبال، "تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه"، كتاب جماعي: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 21.

[5]- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: شحادة خليل، ط2، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج4، ص 237.

بالبربر وإفهامهم حقيقة الإسلام[1]، ومكوثه في مدينة ميلة للتعمير والبناء باتخاذه مسجدا[2]، وشقه للعيون بتلمسان أكبر قواعد القسم الشرقي[3] خير دليل.

إن هذا الذي ذهبنا إليه يدفعنا للاعتراف أن سعة أفق أبو المهاجر دينار، كقائد سياسي ،محنك آتت أكلها، وجاءت مكملة لجهود عقبة الهادفة للاندماج، بدليل تمكنه من إضافة طاقة جديدة للإسلام[4] تسانده في تصفية بقايا الروم، وحسب ما نعتقد فإن خطاب الاندماج كان أكثر توافرا في المغرب الأوسط ظهرت بواوه بمجرد إعلان قبيلة أوربة وزعيمها ولاءها للعرب الوافدين في إطار الصداقة والمجاورة وقائدهم الذي أراد طرح فكرة صوغ مجتمع بانتماء متجدد -الولاء والانتماء للدين الإسلامي- ترتكز في مادتها على نشر قيم قبول الآخر كعنصر مضاف إلى التركيبة السكانية الأصيلة.

1. 3 القائد حسان بن النعمان69-85هـ/689-704م .... القدرة على إدارة التنوع:

التجربة التي نرصدها في هذا العنصر، يراد بها دراسة تطبيقية لسمة الاستيعاب الإثني[5] في بنية جيش المغرب الإسلامي، فقد حرص حسان بن النعمان على دمج البربر سميا في جيش الفتوح[6]، فبمجرد تعيينه قائدا للفتح ومعه في ستة آلاف مقاتل من جند الشام[7]، لم يتوان في تعيين البربر ،ممن ظهرت فيهم الكفاءة في مقدمة جيشه :"فوجه على مقدمته محمد بن بكير وهلال بن شروان اللواتي"[8] ونفس الشيء بالنسبة لولدي الكاهنة -أحدهما بربري والآخر يوناني قويدر ويامين[1]- بعد إسلامهما،

---

[1]- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط5، الإسكندرية، 1996م، ص 123.

[2]- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 64.

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ص 46.

[4]- إسماعيل سامعي، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م، ص 40.

[5]- عصام سخنيني، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الرضوان، ط1، الأردن، 2013م، ص 188.

[6]- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت420هـ/ 1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994م، ص 10.

[7]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص48.

[8]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 200.

أكرمهما وقربهما وعقد لكل واحدٍ منهما على ستة آلاف فارس[2]، في حين لم يقبل أمان باقي البربر إلا أن يعطوه إثني عشرة ألف يجاهدون مع العرب جنبا إلى جنب[3]، وكأن الأمر يسير في اتجاه المعايشة الاجتماعية وبشكل عفوي بين العنصرين العربي والبربري على مستوى الجيش، ثم على مستوى بعض الخطط التي صارت للبربر وتحت تصرفهم بأمرٍ من حسان، كما أننا نستشف من تقسيمه الفيء على من أسلم منهم وحسنت طاعته[4] اجتهاده في ضمان حق كل فرد مسلم مشارك في الجهاد دون فرزٍ لأصولهم، وهو في رأينا منطلق للوحدة الناجحة التي يبحث عنها كونه يمثل قوة سياسة تريد فرض وجودها الحضاري في المنطقة.

أود أن أشير إلى بعض المآثر التي حفظتها المصادر لهذا القائد، وبشكل خاص مساهمته في شيوع التسامح الديني من أصحاب الديانات المخالفة في بلاد المغرب بعد إذعانهم الطاعة، ومن هؤلاء النصارى الذين استنجدوا به بعدما خربت الكاهنة مصادر رزقهم يقول الدباغ:" فخرج من النصارى ثلاث مائة رجل يستغيثون بحسان"[5] معلنا استفادته منهم في الصناعات المختلفة، وهذا ما أكده لنا الرقيق القيرواني حين تناول عدد الأقباط الذين أرسلهم الخليفة عبد الملك ابن مروان مع أهليهم وأولادهم ليدعموا مشروع دار الصناعة السفن في تونس، دون أن يشير إلى أي ازدراء تعرضوا إليه من طرف المسلمين البربر أو العرب وحسبه أنهم كانوا ألف قبطيٍ وألف قبطية استقروا بذراريهم في البلاد[6].

أما فيما يتصل بمساهمة الطرف الآخر في شأن المؤاخاة بين العرب والبربر، الزعيمة الأكثر شأنا في هذه المرحلة، ونحن نعتقد أنه دون تخطيط منها سبقت القائد العربي في هذا الأمر، ففي نصٍ ذو قيمة يحتفظ به الرقيق القيرواني ترد عبارة " إنكم صرتم إخوة"[7] معلنة بذلك تبني يزيد بن خالد

---

[1]- الرقيق، المصدر السابق، ص 48.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص48.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 56.

[4]- نفسه، ص 56.

[5]- الدباغ، المصدر السابق، ص 64.

[6]- الرقيق، المصدر السابق، ص 50.

[7]- نفس المصدر، ص 48.

القيسي بعد أن أسرته في معركة نهر البلاء الشهيرة، قالت له:" أنا أريد أن أرضعك فتكون أخا لولدي"[1] فقط شكلت طريقتها في المؤاخاة أحد مشاهد تمثلات المعتقدات الوثنية القديمة في المجتمع.

يكفينا هذا القدر من الإشارات التي تؤكد أن الوضع الاجتماعي في بلاد المغرب قد انقلب ما بين البربر والعرب، بعد هزيمة الكاهنة، على عكس ما يدعيه بعض المؤرخين الذين ذهبوا إلى كون البربر أرادوا مقاومة الدين ولسانه[2]، دون أن نجد تفسيرا لهم في مسألة تفاعل البربر مع تعريب الدواوين، والتي نعتبرها أول خطوة في سبيل إحلال لغة القرآن رسميا في البلاد، وقد أدركوا أن الهدف منها هو تكريس ثقافة المنتصر، وفي الحقيقة لم نجد ردا على هذا الرأي، كالذي ذهب إليه المؤرخ الفرنسي إدموند دوتي (1867- 1926م) أن للعربية خصوصيتها عند سكان شمال إفريقيا مكتفية بذاتها "إن لها طابع إلهي ثابت"[3].

4.1 القائد موسى بن نصير....و مآثر الجهاد المشترك بآراضي الأندلس:

إن البربر الذين دخلوا في الإسلام، ما لبثوا أن أصبحوا قادة في جيش العربي، أمثال طارق بن زياد [4] الذي ولاه موسى بن نصير إمارة طنجة، ومالك بن طريف سنة 91هـ/710م الذي أناب إليه قيادة قيادة حملة استطلاعية إلى الأندلس[5]، وعلى رغم نفي البعض نسبه البربري، استنادا لتسمية طريف

[1]-ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 37.

[2]- أوليفي لوكور غرانميزون، الاستعمار الإبادة، ترجمة: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 119 وما بعدها.

[3]- إدموند دوتي، السحر والدين في شمال إفريقيا، ترجمة: فريد زاهي، دار رؤية، القاهرة، 2018م، ص 16.

[4] - يذكر البعض أنه فارسي لكن دون ذكر لسلسة النسب، ثم نجد المصادر تؤكد أنه بربري من نفزة اسمه طارق بن زياد ابن عبد الله ابن رفهو ابن ورفجوم ابن يتزغاسن ابن ولهاص-مدينة ولهاصة ابن واطوفت ابن نفزاو. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 11.

[5]- المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1، ص 229.

التي تنسب إلى قبيلة معافر اليمنية العربية[1]،يخطئ من يذهب أن همنا من عرض الأصول العرقية لهذا القائد هو الانتصار إلى الأصل البربري، إنما الهدف هو تسليط الضوء على مسألة تجاوز البربر للولاءات القبلية التقليدية، وتفاعلهم مع مبدأ الانتماء إلى الكيان السياسي الجديد،[2] يقول ابن خلدون:" إن البربر ارتدوا اثني عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى ابن نصير إلى الأندلس فحينئذٍ استقر الإسلام وأذعنوا لحكمه"[3] وفي هذا إشارة إلى نجاح تلك الثنائية العربية البربرية في قيادة الجيوش الإسلامية، والتي اتضحت أبعادها أكثر في بامتثال القائدين عبد الملك المعافري الذي فتح قرطاجنة[4] والقائد العسكري مغيث الرومي فاتح قرطبة[5] لأوامر طارق ابن زياد الذي كان في صحبته اثني عشرة ألف بربري برسم الجهاد، يقول ابن الكردبوس:" ...وحملوا حملة الرجل الواحد"[6] تبعا لما تقتضيه أدبيات الجهاد كل وفق كفاءته ومؤهلاته الفردية دون قيود الفوارق العرقية، ما يؤكد نجاح قادة الفتح الإسلامي في تحقيق قدر من التوازن في الأدوار والعلاقات بين العرب والبربر.

في إيجاز، شكلت تجارب قادة الفتح في إدارة التنوع مرتكزا موثوقا بما لا فكاك منه لحالة الاستيعاب الإثني، بدليل انتقال البربر من كونهم جماعات متحاجزة الحدود، إلى جماعات استوعبت وجود الآخر كعنصر مجاور، سيشاركها شعور الانتماء إلى الدين واحد والمجال واحد.

---

[1]- ابن الكردبوس أبي مروان التوزري (ت681هـ/1282م): تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص45.

[2]-عصام سخنيني، المرجع السابق، ص 204.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 144.

[4]- مولى القائد موسى بن نصير، استقر بالجزيرة الخضراء وساد عقبه بها، من بينهم المنصور الحاجب محمد بن أبي عامر. ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الملقب لذي الوزارتين(ت776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974م، ج2، ص 102- 104.

[5]- فاتح قرطبة هو ليس برومي على الحقيقة توفي سنة 100هـ/719م وهو مغيث بن الحارث بن جبلة بن الأيهم الغساني، مولى عبد الملك بن مروان، قدم المغرب مجاهدا، فقدمه طارق لفتح قرطبة وصار منه بنو مغيث في بلاد الأندلس وسادوا وعظم بيتهم. المقري، المصدر السابق، ج3، ص 12.

[6]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص48.

من جهة أخرى فتحت هذه التجارب مجالا لجعل مبدأ الانتماء بالولاء للدين والمكان يماثل الانتماء بالدم، وهي مبادئ وأفكار طرحها الإسلام الذي كان يفرض وجوده في البلاد في اتجاه حضاري، وفي نفس الوقت كان يقوم بتغيير اجتماعي مهم، ففي أقل من قرنين أصبح المغرب عموما والأوسط على وجه الخصوص من أكثر المجالات الجغرافية التي ضمت وحدات انتماء عرقية متنوع، وبحسب المؤرخ الفرنسي وهو بالفعل تغيير يثير الدهشة على حد تعبير المؤرخ الفرنسي آندري جوليان، الذي وصف ما حدث بالتاريخ الخرافي، متعجبا من ذلك الاتحاد بين شمال إفريقيا والإسلام الذي مهدت له الوصلات البشرية الوافدة من المشرق:" اندمجت إفريقيا الشمالية بالمشرق باعتناقها للإسلام بعد أن تفانت في الدفاع عن ذاتيتها"[1] أي هويتها.

2- مؤشرات الاندماج الاجتماعي في الفضاء الرستمي (160- 296هـ/777-909م):

يقرر بعض المؤرخين في سياق المتابعة التاريخية لتأسيس الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط انتقال العصبية القبلية هذه المرة من الوصف القبلي إلى الوصف المذهبي، لكن لا يظهر في قراءاتهم على سبيل الجزم أن ثمة حتمية تاريخية ساهمت في تآلف البربر مع غيرهم ممن يدين بدين الخارجية بغض النظر عن فواصل الانتماءات العرقية واللغوية، رغم ذلك يعتبر البعض أن التعدد الإثني الذي شهدته هذه الدولة، يحمل في حد ذاته خطر التنافر والتصادم[2]، لكن لابد من الإقرار أن الجزم بهذا التأويل مجانب للصواب، لما في عمر الدولة من وقائع وأحداث برهنت على ارتفاع وتيرة الاندماج الاجتماعي في الشأن العام السياسي والفكري والاقتصادي وغيره، ويكفي أن نشير في هذا الباب إلى عوامله التي نحصرها بالأساس في تفعيل مبدأ الغرابة في اختيار الحاكم عند الإباضية [3]، كنوع من أنواع العقلنة السياسية المبنية على تغليب المصلحة العامة، قالت الإباضية: " لا نأمن أن

[1]-شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح إلى 1830م، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1983م، ج2، ص 34.

[2]- وداد القاضي:" ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية "، مجلة الأصالة، ع 45، الجزائر، 1975، ص 50.

[3]-إبراهيم بحاز:" شروط الإمامة عند الرستميين"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، ع19، 2013م، ص 229-233.

يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته، ولعل المقدم أن يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم، فتفسد النيات ويكثرالا ختلاف ويقل الائتلاف"[1] وكما هو معروف وقع الاختيار على عبد الرحمن ابن رستم المرتفع في نسبه إلى العرق الفارسي[2]،دون اعتبارات النسب أو الجنس أو اللون " كل الإباضية حوله مجتمعة مؤتلفة"[3]

يتكامل مع هذا العامل حالة الانتعاش الاقتصادي التي عرفتها الدولة، وإننا لا نزعم أنه تم على شكل طفرة إنما له تماس بعدل الإمام واطمئنان إباضية المشرق لسيرته في الناس يقول ابن الصغير:" فلما علموا من أمره جمعوا أموالا عظيمة وبعثوا بها نفرا من ثقاتهم"[4] ليضيف في نفس السياق:" وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم "[5] ولنا أن نتصور كيف أضحت دولة بني رستم خليطا من تعاضد مكونات اجتماعية مختلفة العرق والثقافة والعادات والمذاهب، وحسب إبراهيم بحاز فإن سياسة أئمتها كفلت تضامن عناصرها السكانية حتى في فترة الانقسامات والفتن[6]، لكننا ومن موقع تحول بعض هذه العناصر إلى معارضة، لابد أن نوضح فيما يخص الأسباب التي كانت في مجملها فكرية أو سياسية، لا علاقة لها بالعرقية، يخبرنا الدرجيني:" وكان رجاله- عبد الرحمن ابن رستم- شرقيين وغربيين عربا وبربرا"[7] وبذلك نفند طرح أن البنية القبلية البربرية التي كانت سائدة في بلاد المغرب الأوسط شكلت حاجزا دون اندماجها في باقي البنى الاجتماعية، لكن يبدو لنا من خلال خريطة توطنها أن البرو دخلوا

---

[1]- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م، ص 26.

[2]- جده هو بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بابكان بن سابر ذي الأكتاف الملك الفارسي. البكري، المصدر السابق، ص 67.

[3]- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر (ت471هـ/ 1078م)، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: العربي اسماعيل، ط2، صدار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 83.

[4]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 27.

[5]- نفس المصدر، ص 31.

[6]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، منشورات مؤسسة كتابك، ط1، الجزائر، 2019م، ص59.

[7]- الدرجيني أبو العباس بن سعيد (ت670هـ/1272م)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي ج1، مطبعة البعث، الجزائر ،1974م، ج1، ص7.

في رابطة ولاء مع الدولة الرستمية ومنحوها نوعا من الحماية، بحسب البكري فإنهم أحاطوا بالعاصمة من جهاتها المختلفة الزناتة ولواتة وهوارة في شمالها، وبغربيها زواغة، وبجنوبها مطماطة وزناتة ومكناسة[1]، في حين صاغت بعض القبائل نمط انتماء خاص بهم، مثل قبائل نفوسة ومزاتة يقول الإمام عبد الوهاب: "ما قام هذا الدين إلا بسيوف نفوسة وأموال مزاتة"[2] ويسمي ابن الصغير نفوسة بالعسكر" وجل من كان عندنا في البلد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم"[3]، أما العرب فقد نفى ابن الصغير عزلتهم الجغرافية في السكنى والاستقرار، بقوله:" ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ...حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري"[4]، ومثلهم الفرس المتداول تسميتم بالعجم يقول: "...وكانت العجم قد ابتنت القصور"[5] في إشارة إلى ثروتهم، لكن ما يهمنا أن هذه العناصر قد تلاحمت وكونت دولة، ومجتمعا أكثر ما يمكن أن يقال عنه أنه اتسم بالتنوع العرقي، لكنه مارس الاندماج ودعم إرساء قواعد هويته وخصوصيته الحضارية، نورد تفاصيل ذلك فيما يلي :

1.2 مؤشرات الاندماج:

ما ينبغي التركيز عليه في هذا العنصر أن الاندماج اكتسب أهميته كظاهرة تاريخية واجتماعية في الفضاء الرستمي، كونه ساعد الأجناس المستقرة على حيازة مبادئ وثوابت وقوانين وعادات، دعمت تكيفهم وامتزاجهم الاجتماعي بالشكل الذي ينتج معاني الوحدة الاجتماعية في نطاق الدولة القائمة ويمكن أن نلمس ذلك من خلال التفاعلات الاجتماعية التالية:

1.1.2 المشاركة في الشأن السياسي وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص:

توصل بنو رستم إلى سبل ملائمة للتعايش المشترك، القائمة على أساس تعزيز الحقوق في المناصب انطلاقا من القائمة التي احتضنت أسماء المرشحين لمنصب الإمامة بعد عبد الرحمن ابن رستم، والتي

[1]-البكري، المصدر السابق، ص69.
[2]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 87.
[3]-ابن الصغير، المصدر السابق، ص 45.
[4]- نفس المصدر، ص 31.
[5]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 62.

ضمت أسماء بربرية وفارسية وعربية، لم تخضع معايير انتقاءهم لأسس عرقية، بل تقدمت عليها معايير التقوى والعلم والصلاح[1]، غير أن ما تنبغي ملاحظته ما تفردت به المصادر بخصوص معارضة يزيد ابن فندين اليفرني، ما اصطلح عليه تاريخيا اسم الحركة النكارية، وبالرغم من ميل البعض أن هذه الأزمة تعلقت بالعنصر البربري والفارسي الذي استعصى عليه الاندماج، إلا أننا لم نسلم بهذا الطرح ونحن نعلم بصلة القرابة بين عبد الوهاب وابن فندين، باعتبار أن والدة عبد الوهاب كانت من بني يفرن، وقد رجا أن يؤثره على غيره وهو ابن أخته[2]، وعليه لابد من الفصل كون هذه الأزمة بعيدة عن أي عصبية للأصول، ونماذج التولية التي سندرجها كأمثلة تؤكد أن حكام بني رستم لم يأخذوا بعين الاعتبار رابطة الدم في تولية المناصب، كاستجابة عبد الوهاب لمطالب أهل نفوسة في تعيين السمح ابن عبد الأعلى بن أبي الخطاب المعافري الحميري اليمني واليا على إقليم طرابلس[3]، وتقديم محكم الهواري في منصب القضاء بعدما ارتضاه الناس وقدمه الشراة على عهد الإمام أفلح ابن عبد الوهاب[4].

ما هو أجدر بالنظر أن هذه تعيينات لا تعكس في مضمونها أي اعتزاز بالأصل الفارسي، بل تؤكد إرساء مبدأ العدل والمساواة بين الناس، مما أتاح للعناصر الاجتماعية التي تقطن خارج حدود العاصمة فرصا متكافئ مع غيرهم، خاصة هؤلاء الأشخاص الذين لهم مكانة بين الجماعة التي ينتمون إليها فيمثلونها بعيدا عن التعصب[5]، وفي هذا الصدد نشير إلى مصطلح "وجوه الإباضية في جبل نفوسة" في فتنة العجم والبربر زمن أبي اليقظان" ..إنما نحن جئنالإصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا، وقوام

---

[1]-قائمة المرشحين لمنصب الإمامة: مسعود الأندلسي، أبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني، عثمان بن مروان الأندلسي وأبو الموفق بغدوس بن عطية وشكر بن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان وعبد الوهاب بن رستم، أبو زكريا، المصدر السابق، ص 85.

[2]- نفس المصدر، ص 86.

[3]- الشماخي أحمد بن سعيد ابو العباس (ت928هـ/1521م)، السير، تحقيق محمد حسن، شركة أوربيس للطباعة، تونس ،1995م، ج1، ص 144.

[4]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص57.

[5]- فاطمة مطهري:"مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (2-3هـ/8-9م)، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف معروف بلحاج، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر قايد، تلمسان، الجزائر، 2010م، ص 137.

دينا، ولم نأت لطلب علو في الأرض ولا فساد"[1] وكذلك مصطلح "مشايخ البلد" من غير الاباضية يقول ابن الصغير في هذا: "منهم رجل يعرف بأبي مسعود وكان كوفيا...كانت له الرياسة ومحبة العوام "[2].

2.1.2 المشاركة في الشأن الاقتصادي:

تؤكد الدلائل المصدرية أن ثمة تكامل وتعاون بين عناصر المجتمع الرستمي من أجل النهوض بالحياة الاقتصادية، يقول الإمام عبد الوهاب:" لولا أنا ومحمد بن جرني وابن زلغين لخرب بيت مال المسلمين أنا بالذهب ومحمد بن جرني بالحرث وابن زلغين بالأنغام"[3] وكأنها إشارة إلى تجانس مركب الهويات في كنف الدولة القائمة، رافق ذلك تولي بربر نفوسة ببيت مال المسلمين وإنكار المنكر في الأسواق[4]، وعلى منوالها سارت قبيلة لواتة " تستكفي بهم الدولة من تحت أيديهم بجبل الأوراس من القبائل الغارمة فيحسنون الغناء والكفاية"[5] غير أننا وعلى كثرة تنقيبنا لم نجد شيئا يدل على تولي العنصر الفارسي أو العربي هذه المناصب، إلا أننا أدركنا معلومات حول ثروتهم ومساهمتهم في نشاط الأسواق والتجارة الداخلية والخارجية امتلكها مقدم فيهم اسمه ابن وردة[6]، كما نزح بعض الأندلسيون الأندلسيون من بلادهم وبرعوا في عدة حرف في البلاد كالخياطة، وهي معلومة أشار إليها ابن قوطية حول الدكانة الخياطة المعروفة في مدينة تيهرت[7]، أما فيما يخص حرفة النسيج فقد تفرقت المعلومات حولها، كونها صناعة مشتركة بين البربر واليهود، فها هي أم الخطاب التي كانت لها ثلاثة عشرة جارية ينسجن لها[8] في حين تولى اليهود الدباغة " أيما امرأة مست أصباغ اليهود ليس عليها إلا

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 87.
[2]- نفس المصدر، ص105.
[3]- الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 205.
[4]- نفس المصدر، ص 62.
[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 15.
[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.
[7]- ابن قوطية أبو بكر محمد بن عمر القرطبي الأندلسي(ت376هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، القاهرة، 1989م، ص109.
[8]- الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 247.

غسل يديها وكفنها"[1] ناهيك عن الحي الذي امتلكوه ومارسوا فيه تجارتهم، ذكره ابن الصغير "حي الرهادنة"[2].

3.1.2 المشاركة في الشأن الثقافي:

إن البحث في موضوع الاندماج في الفضاء الرستمي، هو بحث بالدرجة الأولى في مدى تضامن وتلاحم عناصرها الاجتماعية من علماء وفقهاء، في سبيل رفع العاصمة السياسية إلى مصاف الحاضرة العلمية وقد تأتى ذلك لعدة عوامل كالتسامح والانفتاح على الآخر، ممن كانوا ينتمون إلى مذهبيات مختلفة " ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة"[3] مع ملاحظة أن أشهر المناظرات التي كانت بين الإباضية والمعتزلة شكل فيها العنصر البربري الأغلبية، ونموذج ذلك مهدي النفوسي[4]، ونحن لا نقصد هنا ضمور دور العرب أو الفرس في الحياة العلمية، لكنها إشارة إلى دور الولوج المبكر للبربر إلى عالم المعرفة الشرعية في إفراز تراث علمي مثله عدد لابأس به من العلماء، لعل أبرزهم : المفسر هود ابن محكم الهواري (عاش ق3هـ/9م) له كتاب في التفسير في أربعة أجزاء هو تفسير بالمأثور[5]، والمحدث بكر ابن حماد التاهرتي (200-296هـ/ 815-908م) من غير المذهب الإباضي، وفي نفس الوقت كان شاعرا فصيحا عاش متنقلا بين القيروان وتيهرت[6] ، والفقيه الإباضي محمود ابن بكر بكر العربي، كان أخص الناس بمجلس أبي اليقظان، يرد على دينه، يدافع عن انتمائه المذهبي[7]، والفقيه أبي مسعود الكوفي وصاحبه أبي دنون يخبرنا ابن الصغير أنهم كانا على مذهب أهل العراق وكانت له رياسة في البلد ومحبة عند العوام[8].

إن محاولة إدراج العلماء في بوتقة العرقية والأصول، لها دلالة واحدة ملموسة، تخص قدرة تيهرت على احتضان نوابغ ومبدعين في مختلف المجالات العلمية، ممن كانوا ينتمون إلى أجناس

---

[1]- الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص203.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص46.

[3]- نفس المصدر، ص 117.

[4]- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 57.

[5]- الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 245.

[6]- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 21 وما بعدها.

[7]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 93.

[8]- نفس المصدر، ص 105.

مختلفة الأصول ودمجهم في عملية الحراك الثقافي، لكن لم يكن ليتم ذلك لولا تفاعلهم الإيجابي مع اللغة العربية، لغة الدولة الرسمية، وعلى سبيل المثال نذكر أبو سهل الفاسي من علماء القرن3هـ/9م كان ترجمانا للإمام لجده لأمه الإمام أفلح لتضلعه في اللغتين العربية والبربرية، وألف فيها اثني عشر كتابا[1] واليهودي يهوذا بن قريش من أكابر علماء تيهرت متضلعا من اللغات العربية والعبرية والآرامية والبربرية والفارسية، وله في ذلك كتاب، توجد مخطوطته في إكسفورد، فكان أول واضع لأسس النحو التنظيري[2]، وعلى هذا الأساس أجمعت الدراسات التاريخية على استفادة بني رستم من توليفة المحلي والوافد في الحراك الثقافي الذي ساق عاصمة دولتهم إلى مصاف الحواضر العلمية الكبرى، والفضل في ذلك يعود إلى حالة التلاحم والتضامن التي اتسمت بها الفئات العالمة البربرية والعربية والفارسية المنتمية إليهم بالسكن أو المذهب وهم من ذوي خبرات الفكرية والعلمية، مشهورين عند العام والخاص بقدرتهم على اتخاذ العلم وسيلة لتنشئة الأجيال وتخريج الأطر، في مشروع بعيد كل البعد عن مزالق التعصب للأصل والعرق.

4.1.2 الامتزاج العرقي بالمصاهرات:

لم تغفل النصوص المصدرية الإباضية أن تومئ بإشارات حول الزواج المختلط، ما يمكن أن نسميه بإرهاصات الامتزاج العرقي أو الانصهار في بلاد المغرب الأوسط، في وقتٍ سعى فيه بنو رستم إلى ربط العلائق بين العصبيات المختلفة[3] بالمصاهرة، شرارتها الأولى كانت زواج والدة عبد الرحمن ابن رستم الفارسية برجل من أهل القيروان حين مات عنها زوجها بمكة، وتطورت العلاقات بمصاهرة عبد الرحمن بن رستم لبني يفرن كما أشرنا آنفا فقد تزوج فتاة يفرينية [4]، فضلا عن تزويج ابنته أروى

[1]- الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 244.

[2]-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980م، ص61.

[3]- محمد القبلي: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط، 2011م، ص199.

[4]- ابن زكرياء، المصدر السابق، ص 86.

أروىلإمام الصفرية اليسع ابن أبي القاسم المكناسي رغم اختلافهم المذهبي، ولغاية سياسية تمثلت في دعم علاقة حسن الجوار بين الدولتين[1].

اقتدى عبد الوهاب بسيرة والده على صعيد تفعيل المصاهرة مع القبائل البربرية بهدف إقرار مبدأ الولاء والتبعية لحكمهم، ولا أدل على هذا من الفتنة التي حصلت بين قبيلة هوارة ولواتة بسبب زواجه من بنت مقدم لواتة، التي أراد مقدم الأوس من هوارة خطبتها أولا " فخطب مقدم الأوس على نفسه أو على ابنه فأجابوه إلى ذلك"[2] إلا أنه رجع عن كلمته بعدما تقدم لخطبتها الإمام عبد الوهاب، بإيعاز من أعداء الأوس، يقول ابن الصغير:" وإذا وقعت المصاهرة صارت نسبه وإذا انضمت القبيلة إلى القبيلة ناوأك في البلد"[3].

5.1.2 توسيع حقوق المحكومين الدينية والمذهبية:

بني رفع مستوى الاندماج على أساس التزام الحاكم اتجاه رعيته، دون تحيزٍ عرقي أو مذهبي، فهذا الإمام عبد الرحمن كان يجلس في مسجده للأرملة والضعيف[4]، وعلى نهجه سار ابنه عبد الوهاب الذي قضى سبع سنوات كاملة في نفوسة يعلم البربر هناك مسائل الصلاة[5]، مستثمرا وقته في تأليف كتاب سماه مسائل نفوسة الجبل[6]، وقد شملت هذه العناية بدورها الجماعات الغير الإباضية، وسمح لهم باتخاذ مساجد خاصة "وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين"[7]، زيادة على ذلك لم يكونوا ليمنعوهم بالسكنى قريبا منهم أو بينهم، يقول البكري:"كان مجتمع الواصلية قريبا من تاهرت وعددهم ثلاثين ألفا في بيوتٍ كبيوت الأعراب يحملونها "[8]، ونختم مع أهل الذمة من المسيحين الذين نالوا من حماية الحقوق الشيء الكثير- التعبد والعمل-[9]، ومثلهم

---

[1]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 157.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص52.

[3]- نفسه، ص 52.

[4]- نفس المصدر، ص 27.

[5]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص 116.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 39.

[7]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 36.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص 68

[9]- إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 82.

اليهود الذين عرفوا بالحي الذي استوطنوا فيه اسمه حي الرهادنة[1]، ما يؤكد سماحة المجتمع الرستمي الرستمي الدينية.

خلاصة القول هنا أن فعل الاندماج في الفضاء الرستمي، تمثل بشكل خاص في تلاقي الأقوام تعايشت طواعيةٍ رغم اختلافها العرقي والمذهبي، وبالرغم من عدم خلوها من بعض الشوائب إلا أنها لم تفرض وجوداً مستقلاً لها، بل حسموا جميعاً مسألة انتمائهم إلى المكان الواحد والدين الواحد، وبالتالي كان وضع أسس وإرهاصات الهوية الجماعية الجديدة متاحا وشروطه التاريخية والثقافية والفكرية والاجتماعية كانت متوفرة[2]، وإن كانت المعلومات التي احتفظت بها المصادر شحيحة، إلا أن إشارتها إلى مجموعة القيم والمبادئ والأفكار التي تفرد بها النسيجالا جتماعي الرستمي، ماهي إلا دليل على خصوصيته.

3. منافذ الاندماج الاجتماعي في الفضاء العلوي السليماني(173-342هـ/ 788-953م):

إن المعطيات التاريخية التي تكونت في إطارها الإمارات السليمانية[3] (173- 342هـ/788- 953م) والقنوات التي جرى في ظلها تثبيت الأشراف العلويين لمكانتهم الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط، دفعتنا للتساؤل عن تحول منطق العصبية القبلية لدى البربر، القائمة عندهم على حد تعبير ابن خلدون: "إنما تكون العصبية من الالتحام بالنسب وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر"[4] إلى منطق آخر تعلق هذه المرة بمسألة النسب الشريف المرتبط بذرية السيدة فاطمة الزهراء، فكان أن دخل

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 46.

[2]- محمد القبلي، جذور وامتدادات الهوية واللغة والإصلاح بالمغرب الوسيط، مكتبة البستان للطباعة والنشر، المغرب الأقصى، 2006م، ص 15.

[3]- نسبة إلى سليمان بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يكنى بأبو محمد، أخو إدريس الداخل إلى المغرب الأقصى، أمهما عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومي. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت 456هـ/ 1064م)، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، 1948م، ص 45- 48.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد الإشبيلي (ت808هـ/ 1406م): المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، 2004م، ص 256

الأشراف في رابطة روحية وسياسية واجتماعية مع القبائل البربرية، مهدوا من خلالها إلى إندماجهم في المجتمع ككل، عبر المنافذ التالية:

1.3 المنفذ الروحي:

إن العملية التاريخية التي كونت الكيان السياسي الشريفي في المغرب الأوسط استلهمت ثقلها من المعطى الروحي المتصل بنسب الرسول ﷺ لعظيم مكانته، غير أن ما يلفت الانتباه هي هالة القداسة التي حظيت بها ذريته في البلاد، إلى حد جاء فيه البرو بشكل جماعي ليجمعوا أنفسهم تحت رايتهم [1] يقول صاحب المفاخر" قد جعل الله في قلوب البربر الرأفة والرحمة لذرية الرسول ﷺ" [2] فليس غريبا إذن أن يرافق هذا الشعور ضروب من التضامن القبلي مع الفارين منهم[3]، فبمجرد نزول الأخوين سليمان وإدريس أبناء عبد الله الكامل[4] إلى بلاد المغرب بعد وقعة الفخ 169هـ/786م، انتصرت لهما جموع الزناتة وبايعوهما على الحكم[5]، متجاوزين بذلك فجوة العرقيات، في جو يسوده الاستعداد النفسي لتقبلهم كعنصر مجاور[6]، ومن ناحية أخرى، ساهم تمسك الأشراف بما اعتبروه حقهم الوراثي[7]، في تأمين شرعيتهم في الحكم والنفوذ، من خلال ضمان ولاء البربر، هذا الأخير الذي اتسع نتيجة توصيات الفقهاء بإنزالهم في المقام الذي يليق بهم "على كل مؤمن أن يحبهم ولا يبغضهم يتواضع لهم ولا يتكبر عليهم ويجلهم ويعظمهم ويحسن عشرتهم ومجاورتهم...ويثني عليهم ويواسيهم إن

---

[1] -Edmond Doutté، Notes sur l'islâm magribin،ernest leroux éditour، paris، 1900 p14.

[2]- مجهول، المصدر السابق، ص 183.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج4، ص 11.

[4]-. مجهول، المصدر السابق، ص 199.

[5]- ابن سهل أحمد الوازي (ت 325هـ/937م): أخبار الفخ وخبر يحي ابن عبد الله وأخيه إدريس ابن عبد الله، تحقيق: عبد الرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن،2000م، ص 57

[6]- موسى لقبال، الزناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان المغرب الأوسط، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975م، ص 92.

[7]- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص 135

احتاجوا، إلى غير ذلك من أوجه البر والإكرام رعيا لما انتسبوا إليه"[1]رغم ذلك نعلم أن البعض يضع تصورا حول فشل دعوة إدريس في المغرب الأوسط، مقابل نجاحها في المغرب الأقصى، أقول أنه لا يوجد وجه للجزم، لأننا عرفنا أن الجماعة الإباضية كانت هي غالبة في البلاد هذا أولا، وفي الجانب الآخر نجد الولي العباسي روح بن حاتم المهلبي يجتهد للإطاحة به، بعدما وصل خبر تواجده بجبل نفوسه، بدعمٍ من الإمام عبد الوهاب وعلينا أن نتوقع موقف أهلها حين أمرهم ولي الأمر بشد وثاقه، قالوا:" فكيف لنا أن نحمل ابن رسول الله ﷺ وقد استجار بنا"[2] وهذا اعتراض معلن وقاطع بعدم تسليمه، بل ذهبوا إلى دعمه بألف رجل، ساروا معه نحو مدينة شلف ومليانة، وهناك انضم إليه بربر زواغة وصنهاجة ولواتة[3]، ولنا أن نتوقع بعد تأسيس دولته في المغرب الأقصى حقيقة تمهيده الطريق أمام أخيه سليمان في إمارة تلمسان[4].

2.3 المنفذ الإداري والجغرافي...وطرح فكرة التقارب المجالي:

في سياق البحث عن عملية اندماج العرب الأشراف في مجتمع المغرب الأوسط،يثار سؤال هنا عن مدى اتساعها في حدود إمارتهم، الممتدة وفق ما حدده المؤرخون من نهاية إقليم بلاد الزاب وتمتد إلى حدود المغرب الأقصى[5]، فما كان علينا إلا ذكر انغماس محمد ابن سليمان في قضية تفريق بنيه على أعماله [6]، متجاوزا بذلك أكبر معضلة تقف في طريق إختلاطهم بالعنصر المحلي، في مرحلة كان فيها الوضع السياسي والمذهبي معقدا إلى حدٍ جد خطير، واحتمال انعكاسه سلبا على تطور إمارتهم

[1]- الونشريسي أحمد أبو العباس(ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981م.ج12، ص 232، 233.

[2]- الرازي، المصدر السابق، ص 57.

[3]، نفسه، ص57.

[4]- استقبل وبايع محمد ابن خزر ابن صولات الزناتي أمير تلمسان إدريس الأكبر سنة173هـ /789م، ومن كان معه من قبائل مغراوة وبني يفرن. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 102.

[5]- موسى لقبال، الزناتة والأشراف، ص 94.

[6]- التنسي أبو عبد الله محمد (ت 899هـ/1493م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: بوعياد محمود آغا، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 66.

وترتيباتها وارد في أية لحظة أما عن المراكز فقد أشار إليها اليعقوبي إلى أهمها ومنها: أرشقول [1] من نصيب ولده عيسى (ت 295هـ /907م) ثم إبراهيم[2] ثم إدريس ويحي أبناء إبراهيم[3]، في حين أضحت جراوة[4] لإبنه إدريس وولده عيسى من بعده المعروف بأبي العيش[5]، وعن الحصون والقرى المتصلة بالمدينة الخضراء بشير ذات المصدر إلى كثرتها :" مدن كثيرة وحصون وقرى ومزارع يتغلب عليها ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن...كل رجل مقيم متحصن في مدينة وناحية وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف بهم وينسب إليهم"[6] ومنها إلى مدينة تنس التي خصها البكري بنص: "وأصحاب تنس من ولد إبراهيم ابن محمد ابن سليمان تجمع إليهم بربر هذا القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة فأجابوهم إلى ذلك...ورحل إليهم أهل سوق إبراهيم وكانوا في أربعمائة بيت فتوسع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم وتعاونوا على البنيان"[7] وهو نص ذو منطوق واضح يعكس العلاقات الطيبة التي ميزت سكان هذه المدينة.

من جهة أخرى وجدنا إشارات حول مشاركة الفرع الحسيني[8] لمجال السكني بجوار البربر، كما بينته المصادر، حين أسسوا كيانات مستقلة بمدينتين، الأولى هاز -قرب المسيلة- وتشتمل على قرى ومنازل لبني يرنيان من بتر الزناتة، وأخرى لعناصر من زواوة وصنهاجة من فرع البرانس، وكما لاحظ الرحالة اليعقوبي أنهم أصحاب عمارة وزرع وضرع، وبالتالي احتمال مشاركتهم في الممارسة الزراعية

---

[1]- واقعة على بعد عشرة أميال من تلمسان. حسن الوزان بن محمد الفاسي (ت957هـ/1550م)، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،1983م، ج1، ص 16.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج4، ص 23.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 78.

[4]- يرى البكري أن أبو العيش عيسى ابن إدريس هو مؤسس مدينة جراوة سنة 259هـ/873م. البكري، المصدر السابق، ص 143.

[5]- ابن خلدون، العبر، ج4، ص 23.

[6]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 192.

[7]- البكري، المصدر السابق، ص 61، 62.

[8]- من ولد سليمان ابن حسين الأعرج ابن علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. ابن حزم، المصدر السابق، ص 54.

وارد، وحسبه أنها مضت سنين طوال دون أن تطرأ على علاقتهم شائبة[1]، أما الثانية فلا نملك معلومات غير أن مؤسسها هو حمزة ابن الحسين[2]، سميت باسمه في حينها، وهي الآن مدينة البويرة، وحسب ما تناولته المصادر فإن نفوذ السليماني العلوي في المغرب الأوسط، قد مهد لهجرات عربية متفرقة، كانوا يعيشون بأعداد قليلة في مدينة سطيف مثل عرب بني أسد من بني خزيمة، وبني تميم، وبالقرب منهم كثير من مكنانة أحد بطون الزناتة[3].

إن حالة الانسجام المشار إليها بين العرب الأشراف والبربر دفعتنا للتساؤل حول علاقة الأصل العرقي بتماثل أفراد المجموعة المراد التعرف على هويتها، وتمايزها عن المجموعات الأخرى؟ أم نفتح المجال هنا أمام عنصر الاختلاط في السكنى والجوار وأحوال المعايشة الاجتماعية الأخرى، ودوره في انصهار الأشراف في موطنهم الجديد؟

إن العلاقة الوثيقة بين الأشراف العرب والسكان المحليين خلت من أي شوائب يمكن للمصادر أن تقف عندها، كحادثة اغتيال أي علوي، أو صراع مذهبي أو معركةٍ ناجمة عن عصبية قبلية، وعليه أمكننا القول أن الأشراف ونتيجة لامتزاجهم اتجهوا بشكل تلقائي لاكتساب هوية جماعية متمايزة أساسها تولد شعور الانتماء لديهم إلى المكان التي انتصر لقضيتهم، واندمجوا تمام الاندماج مع أهله وتأثروا إلى درجة اتخذاهم ألقاب محلية مثل الأرشقولي، الترناني[4].

3.3. المنفذ الاجتماعي:

إن ما نريد التوصل إليه أن الأشراف الذين دخلوا بلاد المغرب الأوسط، ما لبثوا أن اتخذوها موطنا لهم، وهذا الاختلاط السكاني ما بين العرب والبربر، يعزز عندنا افتراض اختلاط الدم العربي بالدم البربري لإنجاب أجيال من آباء عرب وأمهات بربريات، وهو افتراضٍ نقيمه على أساس معرفتنا

[1]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 191.
[2]- ابن حزم، المصدر السابق، ص 55.
[3]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص190.
[4]- نسبة إلى ترنانة احدى قرى تلمسان، وعليها تسمى عبد الله الترناني من ولد إدريس ابن محمد ابن سليمان. نفس المصدر، ص 195.

بتكاثر عددهم مقابل خلو المصادر عما إذا كانت هناك نساء عربيات التحقن بأفراد البيت السليماني، ونميز الجيل الجديد بتسمية المولدين[1] الناجم على الزواج المختلط.

ومن القرائن الدالة على اختلاطهم بالتصاهر هي ما ذهب إليه البكري وغيره ومن الجغرافيين في ذكر لفظة العقب "وكان لإبراهيم ابن محمد ابن سليمان الكثير من البنين كلهم أعقب وعقبهم هناك" [2] أو مصطلح الولد:" ثم نصير إلى بلد يقال له متيجة تغلب فيه رجال من ولد الحسن ابن علي ابن أبي طالب يقال لهم بنو جعفر"[3].

تأسيسا لما سبق ذكره،يخطئ من يرى أن البربر لم يستوعبوا غيرهم في صلب بنيتهم الاجتماعية رغم قبولهم الاختلاط معهم في جغرافيا واحدة، وتحت نظام حكم واحد، وهي آراء متناقضة تفندها المصادر المتأخرة التي تناولت قضايا عديدة شائكة بحسب روح العصر، كإعجاب القبائل البربرية بالنسب العربي[4] ومسألة صحة الشرف من قبل الأم[5]، فضلا عن ظاهرة إدعاء النسب الشريف لأغراض السياسية والسلطان[6]، مما يؤكد أن استيعاب البربر لغيرهم بالمصاهرة واقع اجتماعي، وعدم القدرة على فرز الأصل العرقي مثلما أشار التنسي في نظمه هي مسألة تاريخية يعود امتدادها التاريخي إلى القرن الثاني للهجرة[7].

نضيف أيضا أن عدم القدرة على الفرز التي أشرنا إليها سابقا، تؤكد لنا أن الإمارات السليمانية والعلوية قامت على أكتاف مجموعتين إثنيتين -العرب والبربر- امتزجتا تمام الامتزاج، ليظهر جيل جديد انتشر، وكان له دور فعال في تشكل هوية الجماعية لهذه المنطقة، وعليه لابد أن نبتعد عن كل دعوة إقصاء للمكون العربي وفرزه باعتباره مكونا وافدا، مثل مرحلة تاريخية محددة، ثم انتهى بسقوط الإمارات الشريفية.

---

[1]- عصام سخنيني، المرجع السابق، ص 189.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص 65.

[3]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 191.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 6.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج12، ص 233.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص 68

[7]- نفس المصدر، ص60.

خاتمة

. من خلال ما تقدم تبين لنا أن الاندماج الاجتماعي في المغرب الأوسط من حيث المضمون كان له تماس مباشر بمشاركة وتفاعل الأفراد في شؤون الحياة العامة الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية،

. كذلك نجد أن سمة الاستيعاب الإثني عند بربر المغرب الأوسط ظهرت بمجيء الإسلام، حيث ارتبطت في المرحلة الأولى من الفتح بإدراكات نفسية تقوم على مبدأ قبول الآخر كعنصر مجاور، سيشاركها شعور الانتماء إلى المكان.

. إن دراسة المشهد العرقي لمجتمع المغرب الأوسط يستوجب مراعاة درجة امتزاج وتفاعل عناصره في بوتقة الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، وكذا الانخراط الفعلي لهذه العناصر في قضايا المجتمع الكلي، وهو شهدناه من خلال موقفين بارزين دعما حالة التآلف والتكامل والتجانس المجتمعي في هذه المرحلة من تاريخه، تمثل الأول في موقف البربر من النسب الشريف، والثاني في موقف كل المكونات العرقية الآنفة الذكر من المذهب الإباضي.

. غلبة الرأي وإدراك معنى الانتماء للمكان الواحد والدين الواحد والمذهب الواحد ساهمت في تطوير الممارسة الاجتماعية والثقافية والسياسية للأفراد والجماعات المختلفة عرقيا في الفضاء الرستمي، وكذلك الفضاء العلوي السليماني، بالتالي فندوا مجتمعين معا الرأي المدعي تعارضهم، و أن اتصالهم في رقعة جغرافية واحدة لم يكن سوى حركية تاريخية لصراع الأعراق والعقائد والثقافات.

. وأخيرا كان الاندماج في المغرب الأوسط ظاهرا وملموسا منذ الفتح الإسلامي، تركز بداية في تركيبة الجيش، ثم في توليفة المحلي والوافد من حيث التوطن المشترك والتصاهر وغير ذلك، ساهمت جميع مؤشراته في ظهور جيل جديد سيكون له دور في رسم الخصوصية الحضارية التي تفردت بها البلاد، أضف إلى ذلك أن الصورة العامة لشخصية هذه المنطقة اتضحت وارتبطت بمدى امتزاج مكوناتها الإثنية فيما بينها أولا، ومدى ارتباطها بالمكان ثانيا، وقدر شعورها بالولاء المشترك للسياسة والثقافة والعادات وغيرها وبالتالي لا تروم هذه الدراسة إلى إلغاء المشهد الهوياتي العرقي القديم، إلا أنها تؤكد تأثره بالإسلام وعلى مدى زمن معين ظهرت محددات جديدة تنبي بتأسيس هوية مجتمعه بخصوصية وفعالية جديدة أيضا خصوصية مرتبطة بالدين واللغة والعرق والثقافة، وهو ما وجب التفصل فيه بالنقد والتحليل والتدقيق في الدراسات التاريخية.

قائمة البيليوغرافيا:

1.قائمة المصادر

- الباروني سليمان باشا: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الإباضية، مراجعة: محمد الصلابي، دار الحكمة، لندن، 2005م.

- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

-الدباغ أبو زيد عبد الرحمن: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ج1.

- الدرجيني أبو العباس بن سعيد (ت670هـ/1272م)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي ج1، مطبعة البعث، الجزائر ،1974م، ج1.

- الونشريسي أحمد أبو العباس(ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1981م.ج12.

- الوزان حسن الفاسي (ت957هـ/1550م)، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،1983م، ج1.

- الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة مؤلفين، دار الهداية، الكويت، 1965م، ج5.

- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر (ت471هـ/ 1078م)، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: العربي اسماعيل، ط2، صدار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

-ابن حزم أبو محمد علي القرطبي الظاهري (ت 456هـ/ 1064م): جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، 1948م.

- اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت284هـ/867م): البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2002م.

- ابن الكردبوس أبي مروان التوزري (ت681هـ/1282م): تاريخ الأندلس، تحقيق، أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

- المالكي أبو عبد الله أبي بكر ابن محمد (ت453هـ/ 1061م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم ومسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير بكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج1، ص99.

- مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2005م.

- المقري أحمد ابن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1.
- ابن منظور محمد بن مكرم أبو الفضل الإفريقى (ت 711هـ/ 1312م)، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994م، ج2.
- ابن عبد الحكم عبد الله أبو القاسم القرشي (ت 258هـ/ 871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: شارلز توري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت، ج2.
- أبو العرب محمد ابن تميم التميمي المغربي (ت333هـ/ 945م): طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ج1.
- ابن عذاري أحمد ابن محمد المراكشي (ت712هـ/1312م): البيان المعرب في أخبارالأندلس والمغرب، تحقيق: كولان ج، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج1.
-ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986م.
- الوازي ابن سهل محمد (ت 325هـ/937م): أخبار الفخ وخبر يحي ابن عبد الله وأخيه إدريس ابن عبد الله، تحقيق: عبد الرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن،2000م.
-الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت420هـ/ 1029م): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994م.
- التنسي أبو عبد الله محمد (ت 899هـ/1493م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: بوعياد محمود آغا، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م
- ابن الخطيب لسان الدين محمد ابن عبد الله الغرناطي (ت776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974م، ج2.
-ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد الإشبيلي (ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: شحادة خليل، ط2، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج4، ص 186.
-ـــــــــــــــ المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، دمشق، 2004م.

المراجع:

-إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية 160-296هـ/ 777- 909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية، منشورات جمعية التراث، ط2، الجزائر، 1993م.

- أحمد إيدابير:" التعددية الإثنية والأمن المجتمعي دراسة حالة مالي" رسالة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، إشراف: سالم برقوق، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر03، الجزائر، 2011-2012م.

- إسماعيل سامعي، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012م.

- امحمد المالكي: الاندماج الاجتماعي وبناء مجتمع المواطنة في المغرب العربي، في جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة والوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014م، ص667.

-بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/10م، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2008م.

- حسين بوبيدي: "منطلقات التشكل وتفاعلات التحول دراسة فلسفية تاريخية"، ضمن كتاب إشكالية الهوية دراسة في التشكل والتمثل والتفاعل، المركز الجزائري للدراسات ودار الإحسان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020م.

-حليم بركات: مستقبل الاندماج الاجتماعي والسياسي في المجتمع العربي، منشورات الطليعة، ط1، تونس، 1988.

- موسى لقبال: "تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه"، كتاب جماعي: الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

-ـــــــــــــ : عقبة ابن نافع، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، د ت.

-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980م، ص61.

- محمد القبلي: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط، 2011م، ص199.

-ـــــــــــــ: محمد القبلي: جذور وامتدادات الهوية واللغة والإصلاح بالمغرب الوسيط، مكتبة البستان للطباعة والنشر، المغرب الأقصى، 2006م

- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط5، الإسكندرية، 1996م، ج2.

- عصام سخنيني: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الرضوان، ط1، الأردن، 2013م.

المراجع المترجمة:

- إدموند دوتي: السحر والدين في شمال إفريقيا، ترجمة: فريد زاهي، دار رؤية، ط1، القاهرة، 2018م.

-أوليفي لوكور غرانميزون تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، ترجمة: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

-جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح إلى 1830م، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية، تونس، 1983م، ج2.

- تاديوس ليتيفيسكي، المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا، ترجمة ماهر جزار وريما جزار، دار الغرب الاسلمي، بيروت، 2000م.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Dominique Schnapper, Qu'est-ce que l'intégration ? Paris ,Éditions Gallimard, 2007.

- Edmond Doutté، Notes sur l'islâm magribin،ernest leroux éditour، paris، 1900 .

- Alexandre Gresse , De l'Algérie, chez les principaux libraires ,Paris 1860.

المقالات:

-إبراهيم بحاز:" شروط الإمامة عند الرستميين"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، ع19، 2013م.

-وداد القاضي:" ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية "، مجلة الأصالة، ع 45، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975م.

-موسى لقبال:" الزناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان المغرب الأوسط"، مجلة الأصالة، ع 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975م، ص 92.

مقالات باللغة الأجنبية:

-Camps Gabriel. Comment la Berbérie est devenue le Maghreb arabe. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, 1983. P